PJ
7805
F5
M3
1898

UNIVERSITY OF TORONTO
3 1761 01073175 0

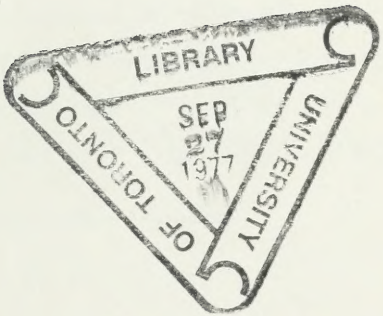
LIBRARY
SEP
1977
UNIVERSITY
OF TORONTO

نحمد مولانا خالق البريه من خصهم بالعقول الزكيه تحت هذه المقامة السنية الفكريه في المملكة الباطنيه المزرية بالمقامات الحريريه ولعمري لو اطلع الحارث بن همام على هذا السمر الحلال وبديع المقال مع رقة الالفاظ ودقة الأوعاظ للزم محلة بني حرام ولم يتعرض للرواية في هذا المقام ولقد فاز بطبعها ونشرها واذاعة حلال سحرها بين اهل الادب من ابناء العرب حضرة ملتزمها حسن علي المنيلاوي المطبعجي وقد طبعها بيده فجاءت فريدة في بابها نافعة لطلابها من أهل الذوق والأدب ومن تهمهم مطالعة الكتب وذلك في شهر ذي القعده سنة ١٣١٥ هجريه الموافق لسنة ١٨٩٨ ميلاديه في شهر مارث وهي مصححة ومقابلة بغاية الضبط عند طبعها لقصد تحسين وقعها ادام الله على مؤلفها من النعمة اعمها ومن السعادة انمها آمين وقد كتبت بيد الفقير المتوكل على مولاه ابو طالب عبد الله غفر له آمين

الغصه ففى الوقت بقية امكان وعلى الله تعالى التكلان وهذه البصيرة قد استيقظت من منام غفلتها ووقفت على حقائق الأمور تفصيلها وجملتها وهى ملتفتة الينا وهاهى قادمة علينا فقال انما كنت ارقب هذه الفرصه للاشتغال باساغة هذه الغصه ﴿قال الخيال﴾ ثم انا لقينا البصيرة فحادثناها فى ذلك الشان ومضينا ثلاثتنا على الفور الى حضرة العقل السلطان وابدت الصحبة حقيقة الحال فى مرآتها وعرفته ما فعلته الغفلة من تبديل صور الجماعة وهيآتها ثم ارسلت البصيرة فاحضرت الندامه واستحضرت معها ايضا المذمة اللوامه فأدبت بواسطتها الحاكم المشار اليه واعادته ثانيا الى ما كان قبل ذلك عليه وغلبت البصيرة على الغفلة فهزمتها وازاحت خيالات سحرها الموجودة وحسمتها وزال الاختلال والفساد من كل مكان وعاد كل شئ لاصل صورته الحقيقية كما كان ﴿قال الخيال﴾ فلما ابصرت ما صار من هذا الظفر والانتصار تخيلت ان الظفر المذكور انما هو ثمرات سعيى المشكور فداخلنى مالم احصه من السرور ومثله من الخيلاء والغرور فتركت الدليل ظهريا وصيرته نسيا منسيا وصرت امشى وحدى مليا حتى عن لى القعود على تخت الاستقامة العقلية فمشيت اليه وصعدت مع كمال التمكين والوقار فاستويت عليه فضحكت الصحة علىّ واشارت من بعيد الىّ ان احطات واخطاتك الكرامه هذا تخت البلاهة لا تخت الاستقامه فضحك على من فى المجلس مفهمها وقمت عن التخت فوقفت متدهدها واعتراني من الخجل والحياء بقدر ما كان عندى من الغرور والخيلاء وسرت اجر رجلىّ والخلق يضحكون علىّ وتبعتنى النفس اللوامة على القدم وصارت تضربنى بسياط الندم حتى تبت ورجعت واعتذرت بقدر ما استطعت فعدت من حيث اتيت وقد وعيت كل ما رايت واردت ان يبقى تبصرة للأنام فحكيت ما رأيته

بالتمام

فى المعاطب وسوء العواقب فتملكهم وهم لايدرون وتهلكهم وهم لايشعرون
الا وهى الملعونة الكاهنة المعروفة باسم المداهنة فجاءت وفى يدها مبخرة ملأت
رائحتها الرؤس وفعلت بكل ما نالته ريحها ما لاتفعل الكؤس فدخلت تنشر رائحتها
وتزخرف للناس قبائحها وهى تتكلم بالفصاحة التامه وتحاكى فى كلامها صوت
الافكار العامه وتحدث كل احد بما يعجبه وتثنى عليه بما يطربه فدخلت مثل
الشيطان فى مجلس العقل السلطان وهى تقول ايها الملك القادر والسلطان
القاهر باعدتك الاكدار وساعدتك الاقدار ولازال يسعدك البخت ويسعد
بك التاج والتخت اراك بحمد الله قد صفا لك الملك وحاق بجميع اعدائك الهلاك
فليس للملك زوال ولا لك فى الخليقة امثال وقد نلت من كل امل اشتهاه وعملت
من كل عمل اسماه ولم يبق الا ذخائر اللذات تقتنيها وأخائر الشهوات تجتنيها
واراك قد ملت لذلك ولاضير وما زال فى رأيك الخيرة والخير فالامر مأمون
وحسن العاقبة مضمون وياصديقى ما قيل ان الحكام ملهون وقد اجتمع هؤلاء
الاكارم ارباب الفضائل والمكارم وما فيهم الا ناصح شفيق اكثر حبا لك من
الوالد والشقيق وكلهم بذلك يشير والطالع بسعدك بشير فوافق اشارة
الجمهور ولا تؤخر فرص السرور
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره
وما زالت تمق له المقال وتخيل له الهدى فى الضلال حتى انقاد للشهوات يعمل
برضاها ويسمع آراءها فيحكم على مقتضاها فصار فى الحقيقة اسيرها
وقد كان قبل ذلك اميرها وهكذا تفعل المداهنة مع من يقبلها من السلاطين
وكذلك قرناء السوء الشياطين وعند ذلك اشتد اشتعال نار الاختلال
وانتشر شرر الشر فى جميع المجال فضعف امر تلك الدولة واختل واعتل جسم
المملكة واختل حتى اشرفت على التلف كلها وكاد ان يمحى من هذا العالم اصلها
﴿ قال الخيال ﴾ ولم يكن من دليلى الفراسة فى خلال هذه الاحوال غير التأسف
على ما صارت المملكة اليه من الوبال وسوء المآل وكانما قطع من فلاحها الامال
وازمع التغافل والاهمال قال فاخذ تنى الحمية والغيرة وقلت له بالله ما هذه
الحيرة ولم تسكت على هذا البأس واى ثمرة تؤمل فى اليأس فقم بنا على اقدام
الاقدام ولنشمر عن ساعد الاهتمام حتى نغيث هذه الأمة ونزيح عنها بعون الله

من كل شكل ولون مثال ورايتها تتباهى بزينتها ووشيها وعليها جلاجل كثيرة تصطخب عند مشيها ولكن حجبت دونها المسامع والابصار فلم يكن يشعر بها احد من الحضار والحاصل ان هذه الساحرة جاءت فدخلت بين من حضر وجعلت تمس ابصارهما السحرية كل من ادركت بالنظر فصارت صور القوم عند ذلك تتغير وهي انهم تتبدل لقوة سحرها وتتنكر ورايت الاشياء تتقلب الى صور اضدادها وغيرها حتى التبس ضرها بنفعها وزورها بحقها وشرها بخيرها فصار حب الجاه في صورة علو الهمم وصار السرف والتبذير في صورة الجود والكرم وصار الشح والتقتير في صورة حسن التدبير وصار الفسق والفجور في صورة الانس والحبور وصار الخداع والنفاق في صورة المداراة والوفاق وصار الظلم في صورة العدل وكذلك الفضول في صورة الفضل والرياء في صورة الصلاح والخسران في صورة الفلاح وهكذا الى غير ذلك بحيث لم يبق احد في حالته الأوليه واغتر الخلق بهذه الصور المبدلة واشتبهت بالصور الأصليه وكحق ذلك التبديل والتغيير فتنة في الأرض وفساد كبير فاجتمع الهوى مع الاغراض الدنيئه والشهوة والخصال الرديئه وجاءت فضها بفضيضها من اوج المملكة وحضيضها وحشدوا عند العقل الحاكم وهم في هيئات الفضائل والمكارم وصار كل يعده ويمنيه ويغريه بما لا خير فيه فكانوا يسوقونه للفاسد في صورة الصحيح ويشوقونه للقبيح مستورا بشعار المليح وما منهم الا من يجريه الى جهته ويدلي اليه بشبهته واللغط بينهم مرتفع والمكلم اكثر من المستمع حتى صارت اصوات العدل والحقانية والاستقامه لا تسمع بحضرة العقل الحاكم في اثناء تلك القيامه لا سيما وقد غلب الشر والباطل والنقص على الخير والحق والكمال وابعدوا هؤلاء المغلوبين عن حضرة الملك العقل في الحال وكانت البصيرة رات امامها البطاله فظنت انها الراحة في تلك الحاله فاستدعت وضمتها اليها وقامت معها كانما اغمي عليها فلم يبق في ديوان العقل من يرشده الى الحق من أهل الفضل غير اولئك المغلوبين كانوا ينادونه بالنصح من بعيد ويقولون لا تغتر بهذه الاحوال الباطلة ايها الملك السعيد فصار مترددا بين موافقة الاغراض ومخالفتها متحيرا في انكار هذه الاصوات البعيدة ومعرفتها وما زال على هذه الحال حتى قويت الاغراض المذكورة فجذبت قلبه اليها ولم يبق الان يطيعها بالفعل ويميل عليها فعند ذلك ظهرت آفة الملوك القاطعة لهم عن مناهج البر وحسن السلوك تدبر عليهم كؤوس الغرور وتجرهم الى انواع الشرور فتوقعهم

بالامل المذكور واما تلك الساحرة فاسمها الغفله وداءها الشر في التفصيل والجمله وقد عمت هذا العالم بكيدها وصيرت كل بني آدم في قيدها فما دخل في هذه الدنيا احد وان جل الا كان لها عليه تسلط وان قل الا ان حفه الله بالعصمه واستخلصه من هذه الوصمه ومن عجائب سرها وغرائب سحرها انها تدخل كل مكان ولا يراها احد يكون من كان حتى انها لتستولي على الرجل قسرا وتملكه اقتناصا وأسرا وتحكم على بصره وبصيرته وتتحكم في ظاهره وسريرته فلا يرى الا ما تريه ولا يجري الا حيث تجريه ولا يتقلب الا في يديها ولا ينصرف عنها الا اليها وهو مع ذلك لا يراها ولا يشعر بأمرها ولا يحس بأنه في حوزة ملكها وقبضة قهرها حتى لو نسبه ناسب اليها او دله احد مرة عليها لتبرأ منها ونزه نفسه عنها وزعم انها لا سبيل لها عليه وانها لم تصل في مدة عمره اليه وهذه الساحرة من اعظم الأضداد للحقيقة الأصليه واكبر الأعداء لي وللاستقامة العقليه وكثيرا ما تتشكل بصورة الاستقامة المذكوره وتتحيل على ترويج زورها على الناس بهذه الصوره وتدخل فيما لا يحصر من الهيآت والصور وكذلك تصور كل شئ بغير صورته وتحيل بقوة السحر انه على اصل هيئته فتجعل الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق وتبدي الصدق في هيئة الكذب والكذب في هيئة الصدق فلا يتميز الأصل من الفرع ولا البدعة من سنة الشرع وهكذا تضل بسحرها القلوب وتخرج العقول عن نهج الاستقامة المطلوب حتى أنها في بعض الأحيان تستغفل البصيرة مع قوة ادراكها وتستدرجها بقوة السحر حتى تقع في حبائل اشراكها لكنني جعل لي الله سبحانه من الفطرة الملكيه وما اتاني بقدرته من شدة القوة الادراكيه لا يروج لدي زورها ولا تلتبس علي أمورها فانا اعرفها حق معرفتها على تغير شكلها واختلاف صفتها وانصحها دائما على رؤس الأشهاد واريد ان لا يقع في شركها العباد ولكن ما كل مره تسلم الجره فانها قد يغلب باطلها على حقي ويرجح الناس كذبها على صدقي وانا انا وهم فلا يسمعون وانا جيهم بالحقيقة فلا يعون وأنبههم فيغفلون وافقههم فلا يعقلون وها أنا بما في من القوة الملكيه اريكها براي العين لتبصرها مع الخلق من وساوس المكر ودسائس المين فها هي تتهيأ لأمر جسيم وتتجهز لايقاع سحر عظيم تعد له الحبال والعصى لتسحر الدانى به والقصى قال فبقيت متحيرا من عبارته ثم نظرت الى موضع اشارته فاذا ساحرة شريره خبيثة قصيره على وجهها نقاب المكر وفي يدها عصا السحر تقذفها الى جو السماء ثم تتلقفها من الهواء وهي تتلون تلون الحرباء وتتلاعب بجميع الأشياء وعليها ثياب غريبة الأشكال فيها

والشهوات لاتنفك عن تلبيسها واستجلابها الملك الى طرائق الشرور وسفاسف الامور بسوء تدليسها ولكنه لايخاف عليه من شرها ومكرها لكثرة ماله لديه من الوسائل والوسائط لدفع ضرها ونكرها فهاهو الحياء والعدل لديه والعفة والاستقامة بين يديه وكل يخصه بالنصح محضا ويرى ارشاده الى النجح فرضا وناهيك بالبصيره من ناصحه ومشيره تهديه صائب ارائها وتهديه تحسن اجرائها فهل يعقل مع ذلك ان يتطرق اليه مكائد الاغراض ودسائسها او يروج لديه مفاسد الشهوات ووساوسها ومادام حال هذه المملكة جاريا على ذلك الاسلوب فهل يمكن ان تتعسر ادارة امورها على الوجه المطلوب قال اراك لم تزل تنظر الى ظواهر الاحوال وتقضي في كل ما رايته بموجب الظن والاحتمال ثم اشار الى الجهة القاصيه وقال انظر لتلك المشؤمة الناصيه الآتية لهذه الناحيه اعاذنا الله من شرها واجارنا من نفثات سحرها فانها فاجرة ساحره غادرة ماكره تسحر عيون هؤلاء الاعيان سريعا وتستغفل بقوة مكرها الناس جميعا وهمها اخلال الامور في هذه المملكه وايقاع من بها من الخلق في كل مهلكه وهي قادرة على هذه المفاسد لكثرة مالها من ذرائع المكائد فان دخلت مرة في هذه المجالس الشريفه غيرت كل ما تراه من احوالنا اللطيفه فيختل هذا النظام ويقتل حال الانام ويتبدل الخير بالشر والنفع بالضر والكالي بالعاطل والحق بالباطل فقلت سبحان الله ماذا عسى يبلغ سحر هذه الفاجره وهل للسحر وقع في مثل هذه الحاضرة الفاخره قال نعم لدينا ثير كبير ولا ينبئك مثل خبير عندنا ساحر وساحره يتردد ان على هذه الحاضره اما الاول ويسمى الامل فمنفعته لاتنكر ومزاياه في هذه المملكة اكثر من ان تذكر فانه يحث كل احد على الاجتهاد بما يعده ويمنيه من بلوغ المراد وقد يخالف فيخالف الاستقامة في بعض الامر ويموه على الناس بقوة ماله لديه من صنائع السحر ولكنا نطويه على غره ولانعارضه في كل امره بل نعينه في احواله بترويج بعض اقواله اذ لولا وجود هذا الامل وماله في عقول الانام من العمل لنظروا الى ان هذه الدنيا باطله وحينئذ تصبح امورها عاطله فلا ترى فيها من العمارة والانتظام ما نرى وقد ورد لولا الامل ما ارضعت امرولدا ولاغرس غارس شجرا نعم في الناس من يغره عن هذه الدنيا بعلة فناها ويرجح الموت على الحياة فيما بين ابناها فهو لاينظر الى الامل ولايعول على العمل ولكن هذا القبيل نادر قليل واكثر الناس قائلون بالاعمال ماثلون الى بضائع الآمال حتى ان الحقيقة في كثير من الامور قد تستعين

فالتفت الملك الى البصيرة ليستشيرها ويستخرج فى امر هذه الحادثة ضميرها فبادرت مع الشهوة التأهل والاستقامه قالت هذه علامة الخير والكرامه وهذا مما نريده ولا نأباه فاذا عزمت فتوكل على الله فعطف الملك نحو الشهوة فزمامه وقبل ما وضعته من الزهر والفاكهة امامه ثم خرجت من بين يديه ورجعت بعد برهة اليه يكنفها السكر واضرابه والنكر واترابه والأفعال الرديئه والاحوال الدنيئه وبينهم كتم الاسرار بعضهم على اليمين والبعض على اليسار فتقدمت بهم امام السلطان وقامت بينهم مقام الشيطان ومعها شئ كالعلبة المقفلة بيديه وتقدمه الى حضرة العقل الحاكم وتهديه وكتم السر يشير له بوضع اصبعه على فيه بانه يحفظ هذا الأمر ويخفيه فلا يظهر ما فيه فمال الملك لقبول هذه العلبة المهداة اليه لولا نهضت العفة فتمثلت بين يديه واختطفت تلك العلبة من الشهوه وضربت بها الارض مع شدة ونخوه فلما رآها الحياء احمر لونه خجلا وستر وجهه بفضل كم عجلا وتاوه متضررا وصاح متضجرا والعقل غير مقلع عن الميل للهدية المذكوره مطمئن بما اشار اليه كتم السر من عدم ظهور هذه الصوره حتى انه اراد ان يرفعها عن الارض اليه فلم تتمالك البصيرة ان قامت واقبلت عليه ثم قالت ما هذا التسرع الى الشر والتهالك على هذا الأمر المتعظك مرارا النفس اللوامه الم تعلم ان عاقبة هذه الامور الندامه الم تدر انه لابد للزمان من ابدائها وان بذلت غاية الجهد فى اخفائها ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم الا تذكران عقباها فى هذه الدنيا العار وعقابها فى الآخرة عند الله النار الم تسمع قول من قال كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر اما تستحى من الله من ركوب هذه الآثام اما فى طيب الحلال غنية عن خبث الحرام ثم مازالت به حتى رجع عن قصده واخرج الشهوة المحفوفة باولئك القوم من عنده ﴿قال الخيال﴾ فلما رايت هذه الأمور داخلنى الفرح والسرور وذلك لكثرة انتباه البصيرة على اعدائها ونصرتها لجماعة اصدقائها واوداتها ومحبة الحاكم لمرائها وايجابه الى موافقة آرائها ثم انى التفت لدليلى الفراسة مكلما وقلت له استفهما ومتعلما قد كنت ايها السيد النبيل والمرشد الى سواء السبيل ذكرت ان ادارة هذه الحكومة امر عسير وانا ارى الآن ان كل امرها يسير فجميع الاحوال ها هنا مستقيمه والادارة بحمد الله غير سقيمه نعم ارى هذه الاغراض

اذا جاءني من يطلب الجهل عامدا * فاني ساعطيه الذي جاء يسأل
ولم اعطه اياه الا لأنه * وان كان مكروها من الذل أجمل

وقال ابو الطيب

اذا انت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندا في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندا

ثم قال اذا تقرر ما ذكرناه وعلم ما قررناه فمقتضى الاعتدال في أمر الأجنبي الذي بلغنا عنه ما سمعناه ان ننظر فيما نقل عنه ونتامل لفظه ومعناه ونعامله بما يقتضيه من سلم وقتال وجلاد وجدال على حسب الأمر ان خيرا فخير وان شرا فشر وهكذا ينبغي ان يكون حال المنامع غيره فنسير مع كل احد من الناس بحسب سيره فلا ننسئ الامن اساء ولا نجازي الا بحق الجزاء ولقد تاملت فيما نقل عن هذا الاجنبي الينا فلم اجد فيه ما يؤخذ من اللهاوين بنا او التطاول علينا فلا ينبغي عليه لئلا نكون من الآثمين ولا نظلمه بغير جرم فان الله لا يحب الظالمين ثم تلا قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فنهض الانصاف ورفع الخلاف وصدق كل ما قاله العدل واتى من بديع البيان بالقول الفصل وقامت ايضا الاستقامة فصدقت وتلتها الحقانية فاثبتت الأمر وحققت الآن الملك لم يزل مترددا في امره شاكا في خير الأمرين وشره فكان يقدم رجلا ويؤخر اخرى ولا يدري أي الامرين احرى فقالت البصيرة الآن لم يبق للتردد مكان وقد وضح الصبح لمن له عينان وقد تميز الحق من العاطل وجاء الحق وزهق الباطل وقد تحققت بحمد الله الحقائق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فدع الترداد وعلى الله الاعتماد اذا كنت ذا راى فكن ذا عزيمة * ولا تك بالترداد للراى مفسدا

ولا يجوز اتباع ما ابدته الاغراض النفسيه من آرائها المدخوله مع وجود ما ابدته الحقانيه والاستقامة من الصورة المقبوله والأدلة المعقوله اما علمت ان متابعة الهجار ومطاوعة الأشرار مشاركة لهم في الشرور وتباعد عن منازل السرور ثم صارت تبرز من القوانين الساطعه والبراهين القاطعه ما ابطلت به تلك الآراء السقيمه ونهت الملك عن العود الى موافقة تلك الاهواء العقيمه فهدته احسن المسالك وانتهى الأمر على ذلك قال الحاكي ثم اقبل شيخ وقور يلوح على اساريره وجهه النور ويظهر عليه الحمية والنخوه ونسايره الاستقامة وتتقدمه الشهوه اسمر التامور الازدواج وامره كثير الرواج فدخلت به الشهوة على الملك جهرا واهدته على يديه فاكهة وزهر

فى دنياه فى جميع الاحوال وافق الحق وفاز بالمرام ومر على صراط الآخرة يوم القيامة كلمحة البرق الخاطف الى دار السلام ومن انحرف عن صراط الاعتدال ذات اليمين او ذات الشمال وقع فى الدنيا فى نيران مساوى الاخلاق والاعمال وانحرف كذلك عن صراط الآخرة فوقع فى نار العذاب والنكال ومن تمسك بهذا الصراط صراط الاعتدال المذكور مع التقصير بالانحراف عنه والعود اليه فى بعض الامور فمسه فى دنياه بعض سوء الاعمال وكان عقباه حسن المآل فهو كذلك بهذه الحالة عند سلوك صراط الآخرة لامحاله فلا يزال يسقط ويرتفع ويقوم ويقع حتى يصل دار الثواب وينتهى لحسن المآب ولذا قال بعض الاولياء ان المرور على الصراط فى الحقيقة انما هو فى هذه الدنيا الحاضرة وذلك لما علم من انه على حسبه يكون المرور يوم القيامة على صراط الآخرة فالسعيد السعيد من يراعى الاعتدال فى جميع الاقوال والافعال والاحوال ثم الاعتدال فى كل زمان ومكان بحسب حاله وبالنسبة لكل انسان على حسب ما ينبغى له ولامثاله فرب امر ممدوح فى زمان دون زمان أو مذموم فى مكان دون مكان او ممدوح بالنسبة لانسان ومذموم بالنسبة لانسان وقد ورد عن قوم من الصحابة انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افضل الاعمال فقال لبعضهم الصلاة ولبعضهم الحج ولبعضهم الجهاد بحسب اختلاف الاحوال وقد أنشد احد الصحابة الكرام بين يدى النبى عليه الصلاة والسلام

ولاخير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولاخير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الأمر اصدرا

فاعجب رسول الله ﷺ بشعره وقال له لايفضض الله فاك فلم تسقط اسنانه وعمره وقال صالح بن جناح اللخمى *

لئن كنت محتاجا الى الحلم انى * الى الجهل فى بعض الاحايين احوج *
* ولى فرس للحلم بالحلم ملجم * ولى فرس للجهل بالجهل مسرج *
* فمن رام تقويمى فانى مقوم * ومن رام تعويجى فانى معوج *
* وما كنت ارضى الجهل خلا وانما * ولكننى ارضى به حين احرج *
* فان قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا والذل بالحر اسمج

وقال ابراهيم ابن المهدى *

اذا كنت بين الحلم والجهل واقفا * وخيرت انى شئت فالحلم افضل *
* ولكن اذا انصفت لم ترض منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل امثل *

الكلمات خير المبر أعجله وللتأخير آفات وكم امر اخرته عن وقته ففات وقد قال الشاعر

ورب مافات بعض القوم قصدهمو * مع التأني وكان الحزم لو عجلوا وقال الآخر

عيب الاناة وان طابت عواقبها * ان لا خلود وان ليس الفتى جزعا

فقام العدل والاحتياط ووقفا في وسط البساط وانشد اقول الشاعر

القصد أولى من بلوغ الغايه * وكل شئ فالى نهايه وقول الآخر

الاقتصاد في الامور مملكه * والحرق شؤم وعنى ومهلكه

ثم قالا قد أفصح الحاضرون عن آرائهم على تباين انحائهم وتخالف اغراضهم واهوائهم ولا يخلو الناس من فاسط ومقسط ومفرط في الأمور ومفرط ولكن لا يغب عنك ان حب التناهي غلط وان خير الامور الوسط كما وردت به الاخبار ودل عليه النظر والاعتبار

فلا تغل في شئ من الامر واقتصد * كلا طرفي كل الأمور ذميم

فالشجاعة مثلا افراطها طيش وتهور والتفريط فيها جبن وخور وكلاهما باتفاق العقلاء واجماع الفضلاء رذيله والتوسط بينهما هو الشجاعة المقبولة وهي الفضيلة وهكذا الجود مثلا افراطه اسراف وتبذير والتفريط فيه شح وتقتير وكلاهما ذميم مقدوح والتوسط بينهما هو الجود الممدوح والشهوة مثلا افراطها شره وفجور وتفريطها خمود والتوسط بينهما بالعفة والاستقامة هو الفضيلة وهو المقصود والغضب افراطه حدة تجر لظلم الأنام وتفريطه بلادة تؤدي الى الانظلام وكلاهما قبيح مذموم والتوسط هو الممدوح في جميع الأحكام فعلم من هذا المقال ان الفضيلة في جميع الاحوال مقصورة على مركز الوسط ونقطة الاعتدال والانحراف عن الوسط المذكور لاحد الطرفين نقص وضلال ووقوع في الوبال فهو الصراط المستقيم المسلوك للمهتدين غير المغضوب عليهم ولا الضالين وانما يكثر الوقوع في الغلط لمزيد الصعوبة في تعيين الوسط فهو في نفس الأمر ارق من الشعر وهو جسر ممدود على متن جهنم الشر والخطر موصل للسلامه كما ان صراط الآخرة مضروب على متن جهنم السعير موصل لدار المقامه ومحل الكرامه والمرور على ذلك الصراط الأخروي لازم للمرور على هذا الصراط الدنيوي فمن وافق صراط الاعتدال

شرب واذا شرب طرب واذا طرب وهب واذا وهب عطب واذا عطب اعتل
واذا اعتل جسمه اخل واذا اخل جسمه مات واذا مات فات والدرهم محموٌ ان
حركته مات والدينار محبوس ان اطلقته طار وقد قيل اليمين الغموس تذر الديار
بلاقع وانما يفعل ذلك الاسراف في الواقع والاصدقاء هم الاعداء لانك ان
احتجت اليهم منعوك واجتنبوك وان احتاجوا اليك ومنعتهم قرعوك وسبوك
واذا لم يكن لك بد منهم فكن معهم كلاعب الشطرنج في سيره يحفظ ما معه ويجتهد
في اخذ ما مع غيره وقالت الاستشارة المشورة لقاح الالباب ومفتاح
النجح والصواب وقالوا من حق العاقل ان يضيف الى رأيه آراء العلماء ويجمع
الى عقله عقول الحكماء ويقال المشورة من عزم الأمور وحزم التدبير وسمات
العاقلين وقال الله جل ذكره فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين قال الشاعر

شاور رسواك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من اهل المشورات
فالعين تبصر منها ما نأى ودنا * ولا ترى نفسها الا بمرآة

فقال عنده ان المشورة تردد في العزم ومفسدة في القطع والجزم وكيف
تستخلص الآراء والناس ذوو اغراض واهواء وقد قيل

وما كل ذي رأي بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

وقال التأني الاناة حصن السلامة والعجلة بذر الندامة (وقد قال بعض السلف)
ينبغي للأمير ان يتثبت في كل ما ينهى اليه ويتاني ولا يعجل حتى يظهر سره ويقف عليه
ويأخذ بأدب سليمان عليه السلام فيما حكاه الكتاب المبين حيث قال سننظر أصدقت
ام كنت من الكاذبين وفي الخبر التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان ومن امثالهم
من تأنى نال ما تمنى وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكسبك ام الندامة لأن
صاحبها يقول قبل ان يعلم ويجيب قبل ان يفهم ويعزم قبل ان يفكر ويقطع قبل ان يتقد
ويحمد قبل ان يجرب ويذم قبل ان يخبر ولن تصحب هذه الصفة احدا الا صحبه الندامة وجانبه
السلامة ويروى للنابغة

الرفق يمن والاناة سلامة * فتأن في أمر تلاقي نجاحا وللقطامي
قد يدرك المتاني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

فقال عنده قد قال بعض ذوي الالباب اياكم والتأني فان الفرص تمر مر السحاب ومن مأثور

وفى الآخرة الاتقياء وقالوا جود الرجل يحببه الى اضداده وبخله يبغضه الى اولاده وقالوا السخاء سخاء النفس الرجل بما فى يده يصون به عرضه من ذم اللئام وسخاؤه بترك ما فى ايدى الناس يفاق عنه باب الملام ومن جمعهما فقد وهب اشرف اخلاق الكرام وتواطأ على مدحه الخاص والعام

والبر اكرم ما وعته حقيبة * والشكر افضل ما حوته يدان
واذا الكريم مضى وولى عمره * كفل الثناء له بعمر ثان وقال

ابو الطيب واحسن شئ فى الورى وجد محسن * وايمن كف فيهم كف منعم
واشرفهم من كان اشرف همة * واعظم اقدامًا على كل معظم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرورًا محبًا او سيادة مجرم وقال ابو

الحسين لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس يذهبها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى ان تجود بها * فالحمد منها اذا اما ادبرت خلف

فقال صنده من اضاع ماله احتاج اليه ومن رشى عدوه اعانه عليه وقالوا ابقاء المال للاقارب خير من الاحتياج للاجانب وقالوا ايوشك من انفق سرفا ان يموت اسفا وقالوا ما وقع تبذير فى كثير الا هدمه ودمره ولا دخل تدبير فى قليل الا اكثره واثمره ومما عوقب المبذر بالافلاس وصار مثلة بين الناس قال ابن المعتز

يارب جود جر فقر امرئ * فقام للناس مقام الذليل
فاشتد عرى مالك واستبقه * فالبخل خير من سؤال البخيل

وكان بعضهم اذا الدرهم وافاه خاطبه وناجاه وقبله وفداه وقال له بابى انت كم ارض قطعت وخاطر رفعت وسرى وضعت ان لك عندى ان لا تقر عوانك لا تضحى ثم يلقيه فى الصندوق ويقول اسكن فى مكان لا تحول عنه ولا تخرج منه وكان للاعمش صديق من العمال عزل عن عمله وقد تأخر عليه مال للسلطان فخبئ من اجله فقصده يسلمه متوجعا لما هو فيه ودخل عليه وقد حضر وقت الغداء فرآى عنده لونا من الفالوذ فقال والله ما لازمت الوثاق الا بالاسراف فى الانفاق فلو قنعت نفسك وعفت يدك لم تكن فى مضيق السجن مفقدك وفى وصية بعضهم لولده وقد خاف عليه الدهر من بعده اى بنى قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد يدخل على الانسان بالفشا لانه اذا سمع

وقد قيل من غرس الحلم شجرا جنى الغر ثمرا وقيل من غرس شجر الحلم اجتنى ثمر السلم ويقال ضبط النفس حجاب من المخافه وحلم ساعة يرد سبعين آفه وكظم الغيظ من محاسن المكرمات ومن لم يحلم عن كلمة سمع كلمات ثم أنشد لابى فراس

ماكنت مذ ماكنت الاطوع خلانى * ليست مؤاخذة الاخوان من شانى
يجنى الخليل فاستحلى جنايته * حتى ادل على حلمى واحسانى
يجنى على واحنو دائما ابدا * لاشئ احسن من حان على جانى

فقال ضده من عرف بالحلم كثرت الجرأة عليه وامتدت أيدى الناس بالاساءة اليه وقد قال السفاح اذا كان العفو مفسده كان الحلم معجزه وأنشد لابى الطبيب

كل حلم اتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام وقال غيره
اذا كان حلم المرء عون عدوه * عليه فان الجهل اغنى وانفع وقالت الشجاعة تقول
يا نفس ان لم تقتلى تموتى * ان تسلمى اليوم فلن تفوتى

ثم قالت قد جاء فى الخبر ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية او عقرب واى فائدة فى الجبن اذ المرء لن لنا من الموت مهرب

فقد تدرك الحادثات الجبا * ن ويسلم منها الشجاع البطل

وربما كان الجبن ذريعة الهلاك والاقدام سبب النجاه وقد قال ابو بكر رضى الله عنه احرص على الموت توهب لك الحياه

يرى الجبناء ان الجبن حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

فقال ضدها ان الشجاعة تعرض للخطر وتوريط للنفس فى الضرر وقولهم فر فلان اخزاه الله خير من قولهم مات رحمه الله قال محمد بن حمزة

بانت تشجعنى هند وقد علمت * ان الشجاعة مقرون بها العطب
يا هند لا والذى حج الحجيج له * ما يشتهى الموت عندى من له أرب

وقالوا من جبن سلم ومن تهور ندم وقالوا السلم ازكى للحال وابقى لأنفس الرجال وأنشدوا

ماذاق هما كالشجاع ولا خلا * بمسرة كالعاجز المتوانى

وقال الجود من جاد بالمال نال الآمال واستمال الرجال وسلمت نفسه من الارجال والسخاء من السه ومن اخلاق اهل الجنه ويقال سادة الناس فى الدنيا الاسخياء

وقال ابو دلامة

ولو كان لي نفسان كنت مقاتلا * باحداهما حتى تموت فاسلما

فتلاه الكسل متبعا وتكلم قاعدا مضجعا وقال يا قوم ليس للراحة قيمة وليس مثلها للعاقل غنيمة وليس في تعب النفس نفع ولو كان مع الراحة كما قيل صنع عنيت قول القائل دع الهوينا واكتسب وانتصب * واكدح فنفس المرء كداحه

وكن عن الراحة في معزل * فالصنع موجود مع الراحه

فقامت الاستكانة مع الخضوع وهما يذريان على الخدود سيل الدموع وقالا أرفق ما يكون اذا عز القرين ان تهون حتى تكفي امره وتأمن شره ولله در ابو العتاهية حيث يقول ساهل الناس اذا ما غضبوا * واذا عز اخوك فهن

وقال محمود الوراق

دار الصديق اذا استشاط تغضبا * فالغيظ يخرج كامن الاحقاد

ولربما كان التغضب باعثا * لمثالب الآباء والاجداد وقال السموأل

رب شتم سمعته فتصامـ * ـمت وعني تركته فكفيت

﴿قال الناقل﴾ وما زال كل من الحاضرين يبدي ما عنده ويبذل في استمالة القوم لموافقته جهده فيقوم ضده يعارضه فيسفه رايه وينقضه فقال الصبر من صبر ظفر ومن عجل خجل وأنشد

وعاقبة الصبر الجميل حميدة * واحسن اخلاق الرجال التبصر ثم أنشد

اصبر ولا تضجر من مطلب * فآفة الطالب ان يضجرا

اما ترى الحبل بتكراره * في الصخرة الصماء قد اثرا

ثم تلا في آخر الخطاب انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فقال ضده

لا يصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار وأنشد

من حمد الصبر وحالاته * فلست بالحامد للصبر

كم جرعة للصبر جرعتها * أمر في الذوق من الصبر

وقال الحلم من ملك نفسه سلمته اعداؤه ومن عرف بالحلم كثرت انصاره وأودائه

لا تحسبن الحلم منك مذلة * ان الحليم هو الاعز الأمنع

قبلتم هذا التدبير وعدلتم فى اجرائه عن طريق التبذير كثرت علينا موارد الغنى وبلغنا غايات المنى وهكذا كان كل يبدى افهامه ويروج على الحاضرين اوهامه والملك يستمع استماع الأريب ولكنه ينظر اليهم نظر المستريب فنهض الخمود والخمول والجمود وتعرضوا لمعارضة هذه الجنود وقاموا بين الجلاس لكن فى آخريات الناس وقالوا لقد تعدى الغضب وقومه جدا وجاؤا من ذلك الرأى شيئا ادا مالنا وللنزال والنضال والتعرض للنبال والنصال فاحذر ايها الملك منهم وذرهم واعرض عنهم ولاتسمع اراءهم ولاتتبع اهواءهم فليس اتباع اراءهم من السنة ولا الفرض ولواتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض

متى ترد الشفاء لكل غيظ * تكن مما يغيظك فى ازدياد

اذ لم تتسع اخلاق قوم * يضيق بها الفسيح من البلاد

ولم تات هذه المملكة الاجنبية بما يغضبنا وان كانت ايضا لم تجئ فى الحقيقة بما يعجبنا وهب انها اهتضمتنا واساءت الينا وظلمتنا فالاولى ان نصبر على امرها ونطويها على غرها ونتغافل عن شرها ولله در الذى يقول

ولقد امر على اللئيم يسبنى * فمضيت ثمة قلت لا يعنينى

والذى يقول

ليس الغبى بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى

فقام الجبن مبتعدا ووقف فى آخر الجميع مرتعدا وأنشد

ارى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك ان يكون له ضرام

فان النار بالعودين تورى * وان الحرب اولها كلام

وقال يا قوم مالنا نتهافت على المهلكة بالتعرض لقتال هذه المملكة واتقاء الشر اجزم والبقاء على النفس احكم وليس للمرء راس يدخره غير راسه ولا نفس ينتفع بها بعد نفسه

ولو ان لى راسين ادخر واحدا * والقى المنايا بعد ذاك بواحد

لاقدمت فى الهيجاء اقدام باسل * ولم اك هيابا لوقع الشدائد

ولكن لى راسا اذا ما فقدته * وفارقنى يوما فليس بعائد

وعاملتنا بما لا ينبغي لاشباهنا وطلب من العقل ان يوافق على الراى المذكور ثم قد مع كمال الابهة والفرور فقال العجب لقد اجاد فيما افاد واشار بالحق والسداد فهذا راى مقبول وامر معقول يرشدنا الى الخير ويبعدنا عن الضير فلا ينبغي التأخر عن هذا الراى السديد ونحن اولو قوة واولو بأس شديد

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها * هوانا بها كانت على الناس اهونا

فقامت النخوة في حسن رواها وهي بجردا ء كبريائها وتختال في ثوب خيلائها وقالت نعم هذا راى نافع فلا ينبغي ان يكون له مانع وقد اصاب حب الجاه في ارائه فلا ينبغي التعرض لمرائه فلما اكملت قولها وقعدت بين من حولها قام الغضب متمزا وكلم الحاضرين متهورا وصار يلحظهم شزرا وكأن عينيه تقدحان شررا وهو يقول يا قوم اين عزبت احلامكم وعزبت افهامكم اما آن أن توافقوا على هذا الراى السديد والتدبير المفيد أليس فيكم رجل رشيد اما فيكم من همه حفظ ناموسنا والعناية بوقاية شرف نفوسنا أهذا الرأي مما يتردد فيه او ينازع في اجرائه نبيه اما فيكم من تحركه الحمية والعصبية وقد نهاونت بنا هذه الدولة الاجنبية فأخلت بمقامنا وازرت على احكامنا فلا بد من ايذائها بالحرب والبروز معها الى مواقف الطعن والضرب وتكليمها بلسنا الصارم العضب فان عصيتم مقالي اليوم فاعترفوا * ان سوف تلقون خزيا ظاهر العار

وما زال في مثل هذه الاقوال وهو يقوم ويقعد ويقرب ويبعد ويبرق ويرعد ويصوب ويصعد ويدعو لوا فقة حب الجاه على الراى الذي كان ابداه الى ان تحرك الحسد ووثب وثبة الاسد وقال يا قوم ما هذه الحيرة واين الحمية والحماس والغيرة عليكم بهذا العدو فانزلوا به النقم واسلبوا عنه كل ما عنده من النعم انما ترون ماله من المال واسباب الزينة والجمال وموارد القوة واسباب اليسار والثروة يوشك والله ان يضاهينا ويجارينا في الفخار ويباهينا وربما يشرف علينا ويسود فما لنا الا ننظر اليه نظر الحسود ونثب عليه وثبة الاسود وننزل به النوب السود فلما انهى مقاله قام البخل يجر اسماله ويمسح سباله وقدم مقدمة من علم تدبير المنزل وقال يا قوم ما لكم عن الحكمة بمعزل انكم اذا

تجده ليس عندها من الغرض اثر وليس لها الى شيء من الخير والشر في نفسه نظر وانما تتعلق بمن يكثر ترداده اليها وتتكرر رؤيته على عينيها غير فارقة بين نافع وضار ولا بين فاجر وبار فهي كما قال ابو الطيب المتنبي

خلقت الوفا لو رحلت الى الصبا * لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

وهي وان كانت بهذه الصفة فلا نظنها عاجزة ضعيفة فانها قد تخالف البصيرة في آرائها وتغلب عليها في بعض الامور باهوائها وحينئذ تتعسر النجاة والنجاح وينسد على الدولة باب الصلاح والفلاح ثم قال اذا وعيت ما دار بيننا من الاقوال فقد عرفت اجمال ما لهذه الخطة من الاحوال وقد رأيت بعض المواضع المهمة وادركت عادات هذه الامة ورأيت معظم اعيانها وكبرائها وعلمت من يدخل مجالسها الدالية من امرائها فقال بنا الآن نتقدم الى الامام لنستمع ما يدور في المجلس العالي من الكلام ونطلع على ما يبرمه به من الاحكام فاني ارى ارباب في احتفال عظيم واظنهم سيتداولون في خطب جسيم فهلم لنسمع ونرى ونعرف ما يجري ثم سار الى بعض تخوت السلطنة المستوى عليه سلطان هذه الامكنة فسرت خلفه بين الفاشين وجلست باشارته جهة اليمين وانا اقول في نفسي يا هل ترى ماذا أسمع بعد وماذا أرى فلما استقر بي المكان وجلست اتأمل بفدر الامكان اذا باحد السفراء الخمسة حضر وعرفت بالفراسة انه النظر فقام امام السلطان ما بين القوم وقال قد رأيت في المملكة الفلانية كذا وكذا اليوم ثم قام من بعده السمع وقال بين اولئك الجمع انا ايضا سمعت كيت وكيت وما كذبت فيما حكيت والله خير الشاهدين وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين فقال الملك ايها الملأ بم تشيرون وماذا ترون في هذه الحادثة وبم تامرون فقام محب الجاه من مقامه واستدعى الحاضرين لسماع كلامه وخطب خطبة مد فيها أطناب الاطناب واشار على الملك بما زعم انه الموفق لصواب وقال هذا هو الرأي الذي لا غبار عليه ولا ينبغي ان يشار الا له او يسار الا اليه فان لنا فيه النصر ومزيد الجاه والفخر وسعادة الرعايا والشرف بين البرايا فقد أخلت تلك الدولة بجانبها

الدولة وتبديلاتها واعظم امرائها ووزرائها وسلطانها بوفرها وبخشاها ويحذرها ويحرص على استجلاب قلوبها وارضائها ويستنهض العامة والخاصة لموافقة ارائها فتدور الامور على المراد وتنتظم البلاد والعباد ويتم المراد وقد يقع بينهما الشقاق وتتحلل روابط الاتفاق فيظهر كل منهما لصاحبه الخصومة فتختل عند ذلك امور الحكومة وينقلب في خلال ذلك الاختلال طائفة الاغراض النفسية والخصال المذمومة فيجدون فرصة لترويج ما يريدون من الشر والفساد ويجدون في اقامة الحكومة الجمهورية المضرة بهذه البلاد فيفسد حينئذ انتظام الاحوال ويعزلون حاكما العقل من ملكة الحاكم فيه بالاستقلال فتشتد المصائب ويتوب المملكة ما لا يحصر من النوائب ويتعدى ارذل الناس واسافلهم على اعاظمهم وامرائهم وينتهبون كل ما ينتهون اليه من اموالهم واشيائهم ويصرفون جميع الواردات في السخف والسرف ويأتون بكل ما يؤدي للتلف ويخل بالشرف من الظلم والغشم والنهب والغصب فتفتقر الاغنياء ويضمحل الفقراء وتعم البلاء ويعظم الاضطراب وتشرف المملكة على الخراب ويكاد يفضي هذا الحال والاختلال الى الوبال بالمرة والزوال لولا ذلك الشخص المهيب القابض على ذلك السوط العجيب الواقف خلف البصيرة على القدم المعروف في هذه المملكة الباطنية بالتدم فهو الذي يتأتى له حسم الفساد واعادة الصلح والصلاح بين العباد ويستلم عنان السياسة من ايدي الاغراض النفسية والخصال الذميمة ويسلم حاكما العقل من يديه الكريمة ويعيده لحالته القديمة وذلك بعد ان يؤدبه بذلك السوط الذي في يده من غير ان يرعى شرف سلطانه وعلو مسنده فتقوم الاحوال لما كان من جمالها وتدور امور الملك على محور كمالها فهذا حال التدم وصنعته وهذه مزيته في هذه الدولة ومنفعته ولكنه قد يمنعه من اداء هذه الوظيفة في بعض الاحيان امرأة تسمى الالفة وهي الجالسة في ذلك المكان فانظر نظر المتأمل اليها وتأمل ايضا هذه السلسلة التي في يديها فهي في انظر صغيرة حقيرة وفي ميزان العقل ثقيلة خطيرة فانظر لسيماها وسحنة محياها

ولا يسرف في الجود ورأيت الكبر ثانيا عطفه شامخا بين اقرانه بأنفه يانف من ابناء جنسه وينفر من اشباهه انسه ويجر رداء التعالي ويخطر في رواء التغالي وينظر الى كل احد نظر المبغض القالي واما مه الدناءة قد لزمت صف النعال ورضيت بكل مازان وشان من جميع الافعال ورفضت الأنف ظهريا وجعلت الشرف شيئا فريا فهي مع الكبر في طرفي نقيض هو في الأوج وهي في الحضيض وهكذا كل شئ كنت اري امامه ضده واشاهد ما يشاكله ويناسبه عنده

فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشئ منجذب اليه

ورايت بين الجميع العدل وهو أجل وزراء العقل كان في وسط الجميع جالسا في مكان رفيع وهو يصلح بينهم في جميع الاحوال ويدعوهم الى التوسط والاعتدال في جميع الاقوال والافعال فهو ينهى عن الاسراف والتبذير كما ينهى عن البخل والتقتير وينفر من الدناءة والاستكانة والذلة والمهانة كما يحذر من التكبر والأنفة والتجبر وهكذا كان دأبه في جميع الأمور يقبح الغلو والافراط كما يقبح التقصير والقصور وفي يده ميزان تخرج الشعرة وتبين الذرة وهي ميزان العدالة والسداد يرد بها ما نقص مثل ما يرد ما زاد ثم رايت امراة تحذو معظمة موقره يلوح عليها الجمال وتحيط بها ابهة الكمال ويبدو عليها اللطف والكرم ومحاسن الشيم وعلو الهمم ورايت كل احد يعظمها ويجيبها ويكرمها الاجماعة من الاسافل والاوباش الارذل كانوا لا يوقرونها بل رايتهم يحقرونها ولكنها كانت لا تحفل بما يبديه اهل الفساد والشقاق كما انها لم تكن تنخدع بتملق اهل النفاق بل كانت تنظر فيما يعرض من الدعاوى والشكاوى بالعدل والحلم وتفصل فيها الحكم بالفطنة والذكاء والفضل والعلم ورايت على راسها اكليلا من الزهر لا يذبل مدى الدهر فلا يزال يرف خضره ويتلالؤ بهجة ونضره ويجلب للعين قره وللخاطر مسره وخلفها شخص مهيب الصورة صعب المراس يرفل في سواد اللباس كانه من بقايا بني العباس وفي يده سوط مجدول يروع منظره القلب ويهول ورايت العقل يخاطب كل من حضر في ديوانه ويستشير هذه المراة الفاضلة في جميع شانه فسر على معرفة امرها وسالت الدليل عن خبرها فقال هي البصيرة المعروفة بحسن ارائها وهي من نبهاء هذه

لايمس شيئا الا مزقه ولايعالج اسرا الا اتلفه وخرقه فقلت للدليل ماهذا الشخص العجب فقال هذا هو الغضب ثم رايت في طرف آخر شخصا طويل البدن طويل الحزن اصفر اللون احمر العين اضناه الهم وافناه السقم والغم وباحدى يديه قدح فيه سم ناقع وفي اليد الأخرى منه سيف قاطع وهو لاينفك يسكب السم على بدنه ورأسه ويجرح بذلك السيف الباتر اعضاء نفسه فقلت من هذا الشخص البادي الكمد البالي الجسد فقال هذا هو الحسد ثم رايت شخصا رفيع المكان بديع البيان قوي الجنان في يده آلات لطيفه وادوات ظريفه واسلحة لماعه بديعة الصناعه فاعجبني حسنها ورقتني لونها ولكني دققت النظر فرايتها تقطر نجيعا وتتصبب سما نقيعا فقلت اعوذ بالله من هذا الذي اراه فقال هذا صاحب الجاه ثم نظرت فاذا شخص سيئ الحال كاسف البال ظاهر البلبال رث الملبس قبيح المنظر والملمس في حالة يضحك منها المقهور ويستخف لها الوقور

وسخ الثوب والعمامة والبر * زون والوجه والقفا والثلاثة

قد اعترته الامراض وغيرته الاغراض وانحلته الهموم وابلته الغموم وهو جالس على كرسي منصوب فوق رابية من ذهب مضروب وهو خائف من نقادم مجتهد في ازدياده وخلفه صبية يلعبون ويفنون ويطربون ويضربون بالدفوف ويصفقون بالكفوف رايتهم يسارقونه النظر ويفرقون ماله شذر مذر فقلت من هذا اللئيم الفج قال هذا هو الشح ورايت عند المقل امراة عاقلة كاملة فاضلة كاتبة حاسبة تكتب كل ما راته او سمعته وتحفظ كل ما استودعته في اقرب من وحي الكف واسرع من لمح الطرف لا تذر جليلة ولا حقيره ولا نقادر صغيرة ولا كبيره وعندها شخص أبله يستغفلها ويسرق بعض ما سطرته وشيخ هرم يتلف كل ما بقي بعد ذلك مما حررته فعرفت ان الكاتبة هي القوة الحافظة في الانسان وذلك الابله هو النسيان وذاك الشيخ الهرم هو الزمان ثم رايت الكرم وقبالته البخل وهو ممكنة من الشرف والفضل من نفع القدر منشرح الصدر ظاهر النفس ظاهر الانس يجود من الموجود ولا يتكلف المفقود

العقول بالحاظها وتسخر القلوب بالحاظها

اذا ابصرت قلبا خليا من الهوى * تقول له كن مغرما فيكون

وعلى راسها تاج من الزهر كالكواكب لدى البدر ورايتها تتكلم بفصاحة لسان وتتفنن في اساليب البيان فلما وقع بصري عليها لم املك ان صبوت اليها وكدت اصير اسير جمالها وربين حبالها وصريع بلالها فسالت دليلي عنها وقد تفرس ما اصابني منها فقال هذه تعرف في المملكة الانسانية بالشهوة الحيوانية وهي مع مالها من الجمال عارية عن خلال الكمال مجبولة على المكر والخيانة والغدر وكم وراء هذا الحسن والزين من عار وشنار وشين

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فالحذر الحذر من مكرها والفرار الفرار من شرها ونكرها ولا تنظر لما فوق راسها من الازهار ولكن انظر الى ما تحت قدميها من الاخطار فرجعت ابصر اليها ونظرت لما تحت رجليها فاذا هلكة شنيعة ومهواة فظيعة تهول الناظر وترتاع الخاطر يسمع منها انين ورنين وبكاء وحنين وصياح مرتفع ونحيب لا ينقطع تتصدع لفظاعة مرآها وتسمعها الاكباد وتكاد تنزعج لشدة هولها الاطواد فامتلأت فزعا وكاد يخلع قلبي هلعا وجزعا وادركني لمن وقع في هذه الورطة البعيدة الشقة من الرحمة والشفقة والرأفة والرقة ما يقصر دونه البيان ويكل في وصفه اللسان فقلت انا لله ولا حول ولا قوة الا بالله كل هؤلاء اوقعتهم الشهوة في هذه الغائلة ورمتهم بكيدها في هذه الورطة الهائلة فنعوذ بك اللهم من الندامة ونسئلك حسن السلامة والعفة والاستقامة ثم اني عذت بالله من شرها وصرفت نظري عن تلك الجهة باسرها ودققت النظر في جهة ذلك الملك العادل لعلي انسى ما رايت من ذلك المنظر الهائل فاذا عند تخت سلطنته عن ميسرته وميمنته امور عجيبة واشياء غريبة تستوقف الطرف وتستدعي الوصف وبينها شخص مهيب المنظر عجيب الخبر والمخبر حديد المزاج بعيد العلاج قوي شديد عنيد مريد قليل التفكر والتدبر كثير التهور والتكبر وهو يلحظ الحاضرين شزرا ويوسعهم قمطريرا ويكلمهم تهرا وزجرا وهو ارعن احمق اعوج اخرق

وعنه يصدرون ويفهم آخرون لا ينقطع الوارد والصادر ولا يعرف الاول ولا الآخر
فقلت لاشك ان هذا مجلس الملك ومركز مصالح الدولة ولم اردان اتخطى ذلك المكان
وقلت ان كان ولابد فههنا السلطان فاشار الى الدليل الا تقف فسترى ان شاء الله
ونفرق فسمعت واطعته وتقدم وتبعته وسرنا نطوى المنازل ونقطع المراحل
من طريق الى طريق حتى وصلنا الى مضيق خرجنا منه الى قبة بديعة على ربوة رفيعة
يتصل بها كل ما اشتملت عليه المملكة فى جميع انحائها من مواردها وطرقاتها ومسالكها
وجداولها وما ئها وفى هذه القبة من الانوار اللامعة والأشعة الساطعة ما يغشى
الابصار ويدهش النظار حتى لم يكد يتيسر لى تمييز من بها من الحضار لكثرة الانوار
الا بامعان النظر واتعاب البصر فنظرت فى خلال لمعان الشعاع فاذا اجناس مختلفة
الاوضاع متباينة الصور والهيئات والطباع ما بين صغير وكبير وطويل وقصير
وقوى وضعيف وجسيم ونحيف وهم يعرفون بالاشتياقات واللذات والاغراض
والاهواء ومع كل واحد مرآة كثيرة الاضلاع لماعة الشعاع ينعكس فيها ما فى القبة
من الاضواء فيظهر كثير من الصور والاشكال والالوان البديعة المثال فكاد بصرى
يضعف عن مقاومة هذه الانوار وقلبى يتعجب من غرابة ما رايت فى تلك الدار
حتى انى لفرط ما هالنى من غرابة الامر وانه لم يسبق لى به عادة فى سالف العمر لم اتميز
فى اول الحال شكل العقل الحاكم فى ذلك القطر بوجه اليقين وعلى صورة التعيين
لكن رايت كثرة ماله من الأنوار فوق ما لغيره من الحضار وما يعلوه من الهيبة والوقار
فاخذت بالظن والتخمين انه العقل المشهور وتأيد ما فهمته من ذلك باخبار دليلى
المذكور ثم نظرت اليه فرايت عنده امرأتين ظريفتين عفيفتين قد زانهما الحسن
والجمال وعلاهما الادب والكمال وفى يد كل واحدة شعلة تسطع نارها وتكاد
تغشى الابصار انوارها وعندها جاريه جثتها عاريه وفى يدها مرآة كثيرة
البريق مستورة بغشاء رقيق فكانت تديرها الىّ ولا تزال تجلوها على
هسالت الدليل عنهن فقال احداهن الاستقامة والثانية العفة والثالثة
السلامة والملك يعتمد عليهن ويحتشمهن ويركن اليهن ثم نظرت فاذا فى السرير
الآخر شابة ذات جمال فاخر ودلال ظاهر وحسن زاهر وسنظر باهر وهى تسمر

فتعال الوصلك الى محل ظريف لترى فيه هذا الملك الشريف وتدخل معي الى مجلسه الكبير وتسمع مايكون من المفاوضة في التدبير وتعلم حال من يدبر امر سلطنته من وزير وامير وصغير وكبير واعلم ان من احوال هذه الدولة وسقطي قوانينها المرعية وعادتها الشرعية انه لا يحتجب الملك عن احد من افراد الرعية وذلك بلا تخصيص ومن غير استئذان بل يجلس كل واحد منهم بمجلسه العام في اي وقت شاء فلا يمنعهم احد ولا يحجر الداخلين عدد ثم انه تقدم وانشد

يا ابن الكرام الاتقوا فتظرما * قد حدثوك فما راءكمن سمعا

فزدت خبرا على سجيته ولكني سكت فسار وتبعته وقلت لعلي ارى مايزيل حجاب الوهم ويحصل امنيتي الله يا بني انهم فسرت في سبيلي والفراسة دليلي فعاينت في الطريق بعض تعب وشقا وعاينت بعض عقبات صعبة المرتقى ورايت بعض مواقع لم اكن اؤملها ولكن كان دليلي بقدر الطاقة يسهلها وصادفت بعض العوام الرعاع من سفلة الرعية والاتباع وقد علموا اني غريب في دورهم غير عالم بحقائق امورهم فصاروا يشيرون الى بعض المسالك ويقولون ان حضرة سلطاننا هنالك يريدون ان يعوهوا بذلك وصاروا يتزامزمون والى جهتي يتغامزون ويقول بعضهم لبعض في السر انظروا لهذا الجاهل الغمر والاحمق الغر قد لقنوه ان حاكمنا العقل يسمى الروح والنفس الناطقة وظن هذا الغريب المسكين لجهالته انها قضية صادقة ولم يعلم لحمقه ان الروح امر غير موجود فجاء ارضنا يبحث عن شئ ليس له في الحقيقة وجود ومنهم من يقول قف عندنا فلا غاية بعدنا الى كثير من الرمز والايماء والطنز والاستهزاء واللوم والتقريع والطعن والتشنيع وكنت اسمع هذا الكلام واتحمل لوقع سهام الملام ولا اعدل عن السبيل ولا اقصر في متابعة الدليل

قالوا لي حسن كل شئ بتحملي * بي تحملي فقلت قصدي وراكا

فلما سرت غير بعيد في طلب هذا الملك السعيد رايت بعض الظرفاء وظننته من الغرفاء فتقدم الي وسلم علي واشار الى محل سري يعرف بالقلب الصنوبري وقال اياك ان تتناهاه ان كنت ممن يطلب هداه فنظرت فاذا جم غفير يفوق الحد ويفوق مراتب العد من خواص وعوام في احتشاد وازدحام وخلق اليه يهرعون ولديه يجتمعون

هذا الامير على التغير والتطير من كل ما عمل في هذه الحكومة الصعبة والملك الخطير فقلت سبحان الله اعليه صعوبة في ادارة المملكه مع ما له من عظيم الشرف وزيادة الملكه وشرف ارومته على اهل حكومته وهل يجد في ادارة حكومته مانعا او يرى من رعيته ممانعا لاسيما وقد علموا مزيد فضله عليهم وارساله من قبل الحق سبحانه اليهم وانهم دونه بدرجات كبيره وهو متميز عليهم مزايا كثيره فهم بالضرورة يسارعون لاجابة داعيه خصوصا وقد جربوا اكثر امن حسن تدبيره وحمن مساعيه فكيف يعقلون عن مأثره حتى يعرضوا عن اوامره او يتعرضوا للمعارضته ويجسروا على مناقضته كلا بل مثل هذا الملك الناقل والحاكم الحكيم العادل تقابل اوامره بالقبول والاقبال ونواهيه بالطاعة والامتثال فيسهل عليه سياسة ماتحت حكمه من الامم كما يسهل على الراعي سياسة الغنم فمن اين تاتيه الصعوبة في اجراء الحكومه واصابة الغرض من افعال البر المرومه فقال انت في هذا الكلام معذور فانك لا تعلم حقائق هذه الامور

اذا ملكت قلب الفتى من اموره * ظواهرها استعصت عليه السرائر

فاعلم ايدك الله بانواره وارشدك الى معرفة اسراره ان هذا الحاكم المعروف باسم العقل والمعبر عنه بالنفس الناطقة في كلام اهل الفضل لما ولاه الله هذه الحكومة السنيه واولاه هذه المملكة الكريمة الباطنيه جعله مشاركا لاهلها في العلائق الانسيه وجميع الاغراض الطبيعيه والاشتياقات النفسيه لتتم سعادة حالهم براحة بالهم ويظهر ما له من قوة الملكه وكمال الحكمة والحنكه وساهمهم في الطبيعة المادية وقاسمهم فيما لهم من الامور المعنويه فهو يتاثر مما يعرض لهم من الافات ويتلذذ بما يرونه من المستلذات فمهما عرض في الحكومة امر يتفاوض فيه او يراد اجراؤه رجع فيه الى اقوال الخمسة الحواس الذين هم وكلاؤه وسفراؤه وامراؤه وامناؤه واستشار فيه من اكابر دولته واعيان حضرته طائفتي الخصال الذميمة والاغراض النفسية وهم ايضا ندماؤه وقرناؤه فيشيرون عليه بما يشيرون ويدبرون له ما يدبرون ثم لا يبت امرا خيرا كان او شرا حتى يعرفه بنفسه ويدركه بحسه وحتى يحصل عليه اجماع الجمهور وعلى ذلك تدور سعوة الامور

الاحوال خبرا وخبرا وانبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا فقلت كأنك والله كوشفت بظاهر امري وخافيه وقد نفست عني بقولك بعض ماكنت فيه فشكر الله لك هذا الفضل العظيم وان شئت اتمام الاكرام فعرفني باسمك الكريم فقال اسمي الفراسه وقد منحني الله قوة الكياسه واطلعني على خفايا السرائر فلا تخفى على خبايا الضمائر

ولا علم لي بالغيب الا طليعة * من الحزم لا يخفى عليها المغيب

ويرحم الله ابن الرومي حيث يقول

* وخبئ الفؤاد يعلمه العا * قل قبل السماع بالايماء *
* وظنون الذكي انفذ في الحـ * ـق سهاما من رؤية الاغبياء *

فظني والحمد لله هو النظر الصحيح ونظري ولا كفران لله هو الكشف الصريح

فقد صرت لا ألقى الذي استريبه * ولا يذكر الشيء الذي لست أعرفه

وقد جئت لاهديك باذن الله السبيل واكون لك في هذه المهلكة من قبيل الدليل واشرح لك ماخفي من كل امر غامض فاجعله واضحا جليا يا ابت انه قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا فقلت قد اسبغت النعمه وكشفت الغمه فاخبرني اولا عن الدولة الحاكمة في هذه الأمه فقال ليست كما تظن دولة جمهورية وانما هي سلطنة تحكم بالاستقلال والقائم بالحكم فيها ملاك روحاني يرسل اليها من لدن مالك الملك ذي الجلال فيقوم بتدبيرها وادارة امورها ورعاية مصالحها وملاحظة فاسدها وصالحها حتى تنتهي ايامه فتنقضي حينئذ احكامه وقد قضت حكمة المليك القاهر على ذلك الملك الكريم الطاهر ان يقيم في تخت هذه السلطنة من لحظة واحدة الى مائة سنة وان زاد على ذلك فنادر والله على ما يشاء قادر فاذا انتهى امده المحدود ووافاه يومه الموعود خلع من هذه الرياسة والسياسة راغما وخرج على الفور من هذا الملك الذي كان فيه حاكما ليرى في مآله جزاء اعماله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا يومهم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار فعند ذلك يحاسب

ذوى الالباب ويمتزج مالهم من سقم الآراء باقوال اولئك الخمسة الامراء وتسمع سائر رجال الدولة ما تلقيه هذه الحواس الخمس اليهم وهم يعتمدون فى جميع الاقوال عليهم ويثقون بما لديهم

واذا كان فى الأنابيب خلف * وقع الطيش فى صدور الصعاد

فيسرى للجميع ما يسرى من تلك الآراء السقيمه ويحدث عنها ما يحدث من الشرور والمصائب العظيمه الا ان حزب الاغراض بينهم تفاوت كبير ولهم اختلاف فى الطباع والاوضاع كثير فمنهم الكريم الوقور والرحيم الصبور فهو يدعو الى الخير فى جميع الامور ويصد عن الفساد والشرور ومنهم من هو ذميم السيره خبيث السريره مبغض للخير والبر محب للفساد والشر فيشير بما يضر البلاد والعباد واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفسا فلما رايت هذه الاحوال الغريبه فى هذه المملكة العجيبه راعنى ما رايت من امرها ولم اهتد الى خفى سرها وظننت ان ادارة الحكم فيها بالجمهورية لا بالملك والاستقلال وزعمت ان ذلك سبب ما اراه فيها من الفتنة والاختلال كما يقع عادة فى الممالك الجمهورية من مثل هذه الاحوال بسبب ما يظهر فيها من الفرق المتعارضه وما يكون لهم فى احكامهم من الاراء المتناقضه فهذا ما ذهبت بادئ بدء اليه وعولت فى توجيه احوال المملكة عليه ولكن لم يتيسر لى فهم ما رايته بحقه ولم اعرف من بينهم احدا اثق به واعتمد على صدقه فبقيت متفكرا مضطربا متحيرا باهتا متغيرا منشوق المعرفة الحقيقه ولا اجد من يدلنى على الطريقه واذا شخص عظيم كأنه ملك كريم هو رئيس طائفة سريه تسمى عندهم بالمقاصد الخيريه يسعى دائما فى تسكين الفتن واخماد نار المحن واعادة الصلح والصلاح وتسنية اسباب النجاة والنجاح وتحصيل السعادة الابديه والراحة السرمديه فعلم ما صرت اليه من الغربه ورثى لما انا عليه من الكربه فنظر الىّ واقبل علىّ وقال ايها المسكين والبائس الحزين قد علمت من اطوارك انك رجل اريب وفهمت من عدم استقرارك انك فى هذه المملكة غريب وانك متحير فى امرك متردد فى فكرك تريد ان تعرف الأمر ولا ترى من يعرفك السر فرثيت لغربتك واتيت لتفريج كربتك وساعرفك هذه

المبانى العظيمه والديار اللطيفه والآثار الظريفه مما يروق الناظر ويعجب الخاطر وفيها انهار دافقه وجداول رائقه ومجارى مياه متناسقه قد انقسمت فى اخاذها لترتوى منها جميع اجزائها وهى مع كثرة تفرقها تتصل ببعضها وتدور على جميع اجزاء الجهة فى سمائها وارضها وطولها وعرضها بدورة عجيبه وصورة غريبه لا تكاد تقف عليها الافكار كما انها تحجب دونها الابصار وهواء هذه المملكة فى الغالب حار ملائم الا ان هذا الامر ليس له بدائم بل هو كثير التبدل دائم التحول وكثيرا ما يحدث فيها من العواصف والرياح القواصف ما يعجز عنه وصف الواصف حتى يكاد يخرب المملكه ويجر على جميع اهلها النهلكه ورايت اهلها ايضا متبدلى الأوضاع متلونى الاخلاق والطباع فما تدوم على حال تكون بها * كما تلون فى أثوابها الغول

فتثور بينهم الشرور فى كثير من الامور لكثرة ما يقع من المعارضه والجدال والمناقضه لما بينهم من مباينة الاهواء ومخالفة الاراء وقد تعرض لهم الافكار المناسبه والاراء الصائبه فتخالفها اللذات والشهوات والاغراض والحاجات فالمروءة واللطف والمرحمه قد يعارضها حب الجاه والحرص على نفوذ الكلمه وكذلك الحلم والتدبر يعارضه الغضب والنهور وهكذا يخالف كل منهم قرناءه ويريد ان يروج اراءه ويحب ان ينصب زمام الرياسه وان ينفرد بالتدبير والسياسه فيشتد بينهم النزاع والجدال ويكثر القيل والقال ويزيد الاختلال الى ان يجمعوا على شئ يقررونه وعند ذلك يحررونه وكان كل ما يدور بينهم من الكلام وتجرى عندهم من الاحكام يختص بسياسة مملكتهم وادارة حركتهم ورايت عندهم خمسة من الامراء واكابر الوزراء فى مثابة السفراء يختص بهم معاملة الممالك الخارجيه والمواصلة بينهم وبين الجهات الاجنبيه يعرفون فى هذه المملكة الزاهره بالحواس الخمس الظاهره واعجب ما رايت عندهم من سوء الحال ودواعى النكال وهو من اعظم الأسباب الداعية لوقوع الفتن والاختلال ان هؤلاء الوزراء يستشيرون فى بعض الامر جماعة تسمى بالاغراض النفسية من اهل الفساد وطائفة ايضا تسمى بالخصال الذميمة من اهل الشر والعناد والبغى والاستبداد والزيغ عن طريق السداد وكلاهما مصر على رايه مصمم على غيه وبغيه فيشيرون بما يخالف صوب الصواب ويعاب عند

لم يقدر عليه فى جميع الامور فعلى قدر الامكان والعجب ان كل واحد وان ضلت اعماله وخابت آماله وساء حاله ومآله انما يبغى سعادة الحال وراحة السر والبال ولهذا الغرض يسعى ويجد ويجتهد فى تحصيله ويكد وعنده من العقل حاكم عادل ومن البصيرة ناصح عاقل وبهما يمكن له ان يتوصل لما اراد ويحصل على خيرى المعاش والمعاد ثم تراه يبطل رايهما ويعطل سعيهما ويرد ما يبديانه اليه من الراى القويم ويصد عما يهديانه اليه من الصراط المستقيم فيفوت ما اراده من السعاده ومع ذلك لا يقلع عن هذه العاده وهذا لعمر الله عجب عجاب طالما كنت اسال عن سره فلا اُجاب فجلست اجيل قداح الانظار وافدح فيه زناد الأفكار واحاول ان اقف على السر واكشف الغطاء عن حقيقة الامر واعرف كيف يترك الانسان ما ينفع ما يضر ويشترى باختياره ما يحزن مما يسر ويخالف هذا الناصح الشفيق باهمال أمره بعد ان جرب شؤم ذلك فى الكثير من عمره فما زلت اتفكر وبذهب التفكر جُفاء ومما تزداد المسألة الاخفاء ولا الشاردة الاجفاء حتى لاح لى شكل روحانى وشخص نورانى لم اشك فى انه ملك ربانى يعرف بنور البصيره ويتصل بأصل السريره قد تجلى لى عيانا وشافهنى بيانا وقال خفف عليك هذا الحال فلا سبيل الى حل هذا الاشكال الا بسياحة مملكة الباطن ومعرفة ما فى تلك المواطن فانهض الى هذه السياحة لتبلغ ما تريد ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فقلت ايها الملك السعيد من لى بهذا المرمى البعيد فقال ويكأن الله يفعل ما يريد ومسح وجهى بيده الكريمة وهو يقول فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فغشيتنى حالة اذهلتنى عن الوجود وشغلتنى عن كل موجود واذا بالانوار ظهرت ومملكة الباطن سفرت فبسملت وحمدلت وتقدمت فدخلت فاذا مملكة واسعه واقطار شاسعه وخلائق مجتمعه وطرائق متبعه ومراحل ومنازل ومصانع ومعامل واذا أهل هذا الملك الكبير فى عدد كثير وجمع غزير وكلهم دائب فى خدمته دائم على همته لا يفتر عزمه ولا يفتر عما يلزمه وهم مع ذلك يحترزون عن التعب والألم والمرض والسقم والهم والغم مائلون الى اللذات الانسيه والشهوات النفسيه لا يبتغون عن ذلك عوضا ولا يبغون سواه غرضا وفى هذه المملكة الجسيمه كثير من

فتعارضه البصيرة بان ذلك المظلوم ربما انتصر وان لم يعنه احد فلربما اعانه القدر وتضرب له المثل بعواقب الغادرين ومعاطب الماكرين وسوء احوال الظالمين وما اصابهم في العالمين فيقول الهوى لله در الذي يقول

اذا هم القى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

فتقول البصيرة احسن منه الذي يقول

واذا هممت بأمر ورد فالتمس * من قبل مورده طريق المصدر

والذي يقول

ولذة ساعة مرت فولت * وابقت بعدها حسرات دهر

وهكذا حتى يغلب احد الجانبين ويترجح واحد من المذهبين فمن غلبت بصيرته على هواه فاز بالمنى والسلامه ومن غلب هواه على بصيرته وقع في العنى والندامه كحال من يغلب على نصح النصوح المأمون غش الرفيق المنافق الخؤون ويستبدل قول الخبير العاقل بقول الغرير الجاهل ومهما حصل لاحد البشر من شر وضرر او خطا وخطر فانما سببه اهمال راى البصيره في كبيرة من الامور او صغيره وكم من صغيرة صارت كبيره ورب شرارة صارت نارا وكلمة جرت دمارا وخربت ديارا وكم كثير اصله يسير وكل كبير اوله صغير قال الراجز

قد يلحق الصغير بالجليل * وانما القرم من الأفيل
وسحق النخل من الفسيل

وقال يزيد بن الحكم

فاعلم بني فانه * بالعلم ينتفع العليم
ان الامور دقيقها * مما يهيج له العظيم

وقال عنترة

قد يبعث الامر الكبير صغيره * حتى تظل له الدماء تصبب

ولا يكاد يخلو احد من الناس حاشا من عصمه الله بتقواه من العدول ولو في بعض الأمر عن موافقة العقل الى مرافقة هواه فمن مائل للتفريط والقصور ومن قائل بالافراط في جميع الامور والسعيد الموفق من يراعي الاعتدال في كل حال ومكان وان

قيل من انها تختلف فى الانسان باختلاف الحال والشان والزمان والمكان ثم رجحت هذا القول على الاول وجعلت عليه المعول فكم بين الجاهل والعالم والمفرط والحازم والشيخ الكبير والصبى الصغير والناشئ فى الامصار والذى فى الجبال والقفار والمعاشر للعلماء والاتقياء والملازم للجهلاء والاشقياء فانا نرى بينهم بونا كبيرا ونجد بين بصائرهم تفاوتا كثيرا الا أن كل واحد منهم فيه اصل البصيره تحثه على الخير وتكفه عن الضير وتصعده الى معارج الهدى وتبعده عن مدارج الردى وانما تناقضها الشهوات والاغراض وتعارضها فى بعض امرها الامراض والاعراض فتمانعها عن اعمالها وتعكس عليها بعض آمالها ولكنها مع ذلك لا تالو الجهد فى مناصحة العقل وكفه عن السلوك فى مسالك الغواية والجهل والكشف له عن حقائق الخير والشر والعرف والنكر والنفع والضر والحق والباطل والحلى والعاطل وحثه على التمسك باذيال العدل والاعتدال ومجانبة الافراط والتفريط فى جميع الاحوال اذ لا يمكن الوصول الى السعادة الابديه والراحة السرمديه الا بهذا الاعتدال فى جميع الاقوال والافعال فالعقل فى المملكة الانسانية كالملك الكبير والبصيرة له بمنزلة الوزير الناصح المشير والهوى كالجليس الخائن والصاحب المائن المداهن فبسبب العقل برأى البصيرة فى الامور فترشده الى الخيرات وترده عن الشرور الا اذا غلب الهوى على العقل باعانة الشهوات والجهل فانه يحسن له القبائح ويدعوه الى ارتكاب الفضائح واهمال ما تبديه البصيرة من النصائح فتحذره البصيرة سوء العواقب وتبين له ما فى ذلك من المعايب والمعاطب ويحسن الهوى ما يدعو اليه ويحث الانسان عليه فيغطى على ما فيه من الآفات بما يكسوه من رداء الشهوات وغشاء اللذات فهو يموه بالشهوة الحاضره واللذة العاجله والبصيرة تحذر من المضرة القابله والتهلكة الآجله فاذا حسن الهوى مثلا معارضة احد فى امواله او التعرض له بما يشين فى شئ من احواله بينت البصيرة ما فى ذلك من العار والشنار وما يترتب عليه من الاخطار وسوء الذكرى مدى الاعصار فيموه الهوى بما فى ذلك من لذة تقتنى وثمرة شهوة تجتنى

PT
7695
F5M6
1875

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من له الملك والملكوت يا رب الكبرياء والجبروت يا من هو الاول والآخر
واليه المصير يا من هو الباطن والظاهر وهو على كل شئ قدير نحمدك اللهم تبركا
بذكرك واسالك الاعانة على حسن شكرك ونستوهبك من صلات الصلاة
اسماها ومن تسنيم التسليم والتحيات اسناها لحضرة نبي الخير والكرامه
الهادي الى صراط الاستقامه وسبيل السلامه واله وصحبه اولى البصيره
المعروفين بحسن السيرة والسريره وبعد فيقول راجي احسان ربه البليغ
عبد الله فكري بن محمد بليغ قد كنت عثرت في بعض اسفاري سابقا الى
القسطنطينيه دار الخلافة السنيه بكتاب لطيف الاسلوب باللغة التركيه
يعرف بالمملكة الباطنيه واصله من بعض الالسن الاجنبيه فنقلته الى اللغة التركيه
العربيه بصورة مقامة ادبيه وضممت اليه بعض زيادات اظنها لا تخرج عن المطلوب
وتصرفت في عباراته مع المحافظة على اصل الاسلوب وبالله الحول والطول وهذا
اوان الشروع في القول

حدثنا ابو المقال بن ذاكر عن الخيال بن خاطر قال قعدت اتفكر في عجائب الزمان
وغرائب عالم الامكان وما في صنيع الرحمن من بديع الاحسان ثم ما للانسان مع فصاحة
اللسان من المزايا الحسان وما منحه الله من تمييز وما اتاه سبحانه من عقل عزيز
وبصيرة تقوده الى هداه وزبره عن مهاوي هواه ثم اخذت اتامل ما قيل في هذه
البصيرة تامل الناقد فذكرت ما قيل من انها في جميع افراد العالم بقدر واحد وما

المقامة الفكرية السنية

في المملكة الباطنية

al-Maqāmah al-Fikrīyah

﴿تعريب﴾

الأديب الأريب واللوذعي اللبيب

﴿عبد الله فكري باشا﴾

﴿ناظر المعارف سابقا﴾

LIBRARY
SEP
27
1977
UNIVERSITY OF ILLINOIS

﴿طبعة أولى﴾

على ذمة ملتزمه حسن على الطبجي

﴿سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٨ م في شهر شوال﴾

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

فكرى

المقامة الفكرية